حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد التاسع ـ شوال ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

باب الثعبان - مسجد الكوفة المعظم

٩

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

لكي لا تظلموا
"جميع" أهل الكوفة

الأستاذ عبد المهدي الفائق(*)
أديب، صحفي، شاعر

في حفل أقيم في الكوفة في الثلاثينيات أو الأربعينيات لا أتذكر وقف شاعر أجلّه لأدبه الجم وعلمه الغزير وخلقه الرفيع وارتجل هذين البيتين:

لا تصغ أهل الكوفة الجند سمعا
ودع القوم يهلكون ظِماءا
كيف تسقي يا ابن الجواد أناسا
منعوا جدك الحسين الماءا

وضربت الكف على الكف أولاً ما ذنب الأحفاد ليؤخذوا بجريرة الأجداد وثانياً ألم يقل الله سبحانه وتعالى يخرج الطيب من الخبيث وثالثاً أي برهان تاريخي يؤكد أن جميع أهل الكوفة قاتلوا سيد الشهداء.

– ومرة أخرى سمعت من خطيب من خطباء منبر الحسين قوله إن أفراد عشيرة بني أسد حاربوا الحسين ولم يعرف هذا الجاهل الأمي إن شيخ بني أسد جيب بن مظاهر رضوان الله عليه كان على رأس أنصار سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فما هو سبب هذا الخلط السبب واحدٌ من المؤرخين لم يكتب بالتفصيل من الذين حاربوا الحسين وتبيان هوياتهم وهكذا بدافع الجهل صار الذين دفنوا الجثث الطاهرة هم القتلة.

قبل كل شي كانت الكوفة معسكر الجيش ولم يكن أفراد هذا الجيش كلهم من أبناء الكوفة بل هم خليط من كل مبدأ من أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد قتل الحسين وآله وصحبه من جهة والعمل على تقويض حكم الأمويين من جهة أخرى وبين أفراد الجيش جمع غفير من الخوارج ومثلهم من المجوس فأية صلة بين جموع هذا الجند وأهل مدينة الكوفة..

ثم إن عبيد الله بن زياد لم يصل الكوفة حتى أخذ الأحباء والعرفاء وسجنهم فلم يبق من أنصار الحسين إلا العوام وهؤلاء ما كان بإمكانهم أن يفعلوا شيئاً دون إرادة رؤسائهم وعرفائهم الذين كانوا في السجون..

وأمام كل هذه الحقائق إن مسلم بن عقيل رضوان الله عليه عندما حل بين جموع أهل الكوفة قال بأنه لم يؤمر من قبل الحسين أن يحارب بل إنه جاء رسولاً عنه ليطلع على الحقيقة وما يدرينا كيف كانت الأمور تجري لو قال إنه جاء ليحارب فمسلم بن عقيل لم يطلب الحرب..

والرؤساء والعرفاء محبو الحسين في السجون فمن الذي يقود الجيش ويجمع أفراده لنصرة مسلم بن عقيل.

إن الأمويين الذين كانوا موجودين في الكوفة كانوا يحصون على أبناء الكوفة أنفاسهم وهم الذين بعثوا رسلهم يشكون ضعف الوالي النعمان بن بشير والحقيقة لم يكن ضعيفاً بل إنه كان يتجنب المتاعب والفتن وعندما وصل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة وسجن العرفاء الذين هم من أصحاب الحسين جاء بعرفاء جدد ومن الأوامر التي أمرهم بها أي عريف يوجد في عرافته أحد ممن يتهم بالانحراف عن يزيد وعدم الرضا ببيعته يحكم بالصلب على باب داره وأول خطبة ألقاها قال فيها على أنه يأخذ البريء بالتهم وحتى المتهم هو بريء فماذا يفعل أهل الكوفة لاسيما بعد مقتل الشهيدين مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة لقد غدت الأم تمنع ولدها من ترك الدار والأخ الكبير يمنع أخاه الصغير وعيون الأمويين تترصد الجميع وأوامر عبيد الله بن زياد ذكرنا بعضاً منها.

إن الخوارج كانوا يملؤون الكوفة بعد إجلائهم عن ديار الشام هؤلاء كانوا ضد الحسين والأمويين على حدّ سواء وقد رأى الخوارج في قدوم الحسين وسيلة لإعادة حسن الظن بهم من قبل حكام الشام. ومن شيوخ الخوارج هؤلاء شبث بن

(*) عن: صحيفة العدل النجفية، السنة ١٠، ع٧ في ١٩٧٦/٢/١٤م.

ربعي واليهود الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة كانوا في الكوفة وهؤلاء أسهموا في محاربة الحسين من جهة وإثارة الإشاعات من جهة أخرى وهم الذين كانوا يدورون في الحارات والدروب يبشرون بأن جيش الشام أصبح على مشارف الكوفة واليهود لم ينسوا ما أوقعه أبو الحسين بهم في حروبه كما أنهم كانوا يرون في الحسين مرجعاً دينياً للمسلمين وزعيماً من أجلِّ زعمائهم وكان يهمهم القضاء عليه ليسهل عليهم من بعد القضاء على من هو أصغر مكانة من الحسين وأقل منزلة في قلوب المسلمين ومن بعد ذلك يعملون للقضاء على كل أثر للإسلام.

لقد كانت الكوفة تعج بمئات الآراء المتباينة والأمويون هم الذين يحكمون ويسيطرون وعيونهم مفتوحة وآذانهم مرهفة والمشانق موجودة تنصب أمام كل دار والخوارج في الكوفة كانت لهم قوتهم ومركزهم وكان فيها فرس من المجوس ونبط لذلك أصبحت تربة خصبة لدسائس اليهود، واليهود يعرفون كيف يدسّون وعندهم المال الذي به لضمائر ضعيفي الإيمان يشترون.

صحيح أن عبيد الله بن زياد تمكن أن يخدع نفرا من أبناء الكوفة والصحيح أيضا أن هؤلاء بعد أن رأوا أنفسهم أمام الأمر الواقع التفوا بركب الحسين منهم أبو الشعثاء ويزيد الكندي وفي ليلة عاشوراء تسلل تحت ستار الظلام ثلاثون من أهل الكوفة إلى ركب الحسين وفي العاشر من محرم التحق بالركب الشريف الحر بن يزيد الرياحي ومعه نفر كما تقول كتب التاريخ.

يقول الطبري دنا أحد قوات جيش عبيد الله من أصحاب الحسين وهو ينادي يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق عن الدين وخالف الإمام فقال له الحسين يا عمر بن الحجاج أعليَّ تحرض الناس أنحن مرقنا وأنتم ثبتم وعمر بن الحجاج خارجي وجملة مرق عن الدين من تعاير الخوارج في أقوالهم وكتبهم.

ولما طلب أصحاب الحسين إيقاف القتال لكي يؤدوا الصلاة ناداهم الحصين أنها لا تقبل منكم وكتب التاريخ نضع أسم الحصين في مقدمة أسماء الخوارج واسمعوا ما يقوله أبن حجر عن شبث بن ربعي أسلم ثم أرتد وصار مؤذنا لسجاح ثم عاد إلى الإسلام وحضر مع علي في صفين ثم انتقل إلى الخوارج وحارب معهم وكاتب الحسين وانضم لابن زياد ثم كان مع المختار وتحول إلى ابن الزبير ورافق مصعباً بن الزبير في حربه للمختار.

هذا التافه لم تكن له عقيدة إنه يركض وراء مصالحه كاتب الحسين لتكون له منزلة عنده وعندما رأى أن القوة مع أبن زياد اختار السلامة وهذا كل تفكير التافهين في كل عصر ومصر.

وعلى الرغم من سد عبيد الله بن زياد سكك الكوفة لكي لا يدخل إليها داخل ولا يخرج منها خارج فقد تمكن خمسة من أهل الكوفة من فك الحصار واللحاق بموكب الحسين هم عمر بن خالد الأسدي ومولاه سعد ومجمع بن عبد الله العائذي وولده عائذ وجناده بن حرب المذحجي..

العشرة الذين داسوا صدر الحسين وظهره بخيولهم عشرة كلهم من الخوارج قال عنهم الطبري أن كلهم أولاد زنى. ولو عدنا إلى أسمائهم لرأينا أنهم من غير أهل الكوفة.

إن من الظلم للتاريخ أن نظلم الكوفة كلهم وحتى الذين حاربوا الحسين من أهل الكوفة عاد إليهم رشدهم منذ حيث لم يفدهم الندم فكانوا التوابين وكانت ثورة التوابين ثم ألم يكن أهل الكوفة هم جنود المختار؟.

❖ ❖ ❖

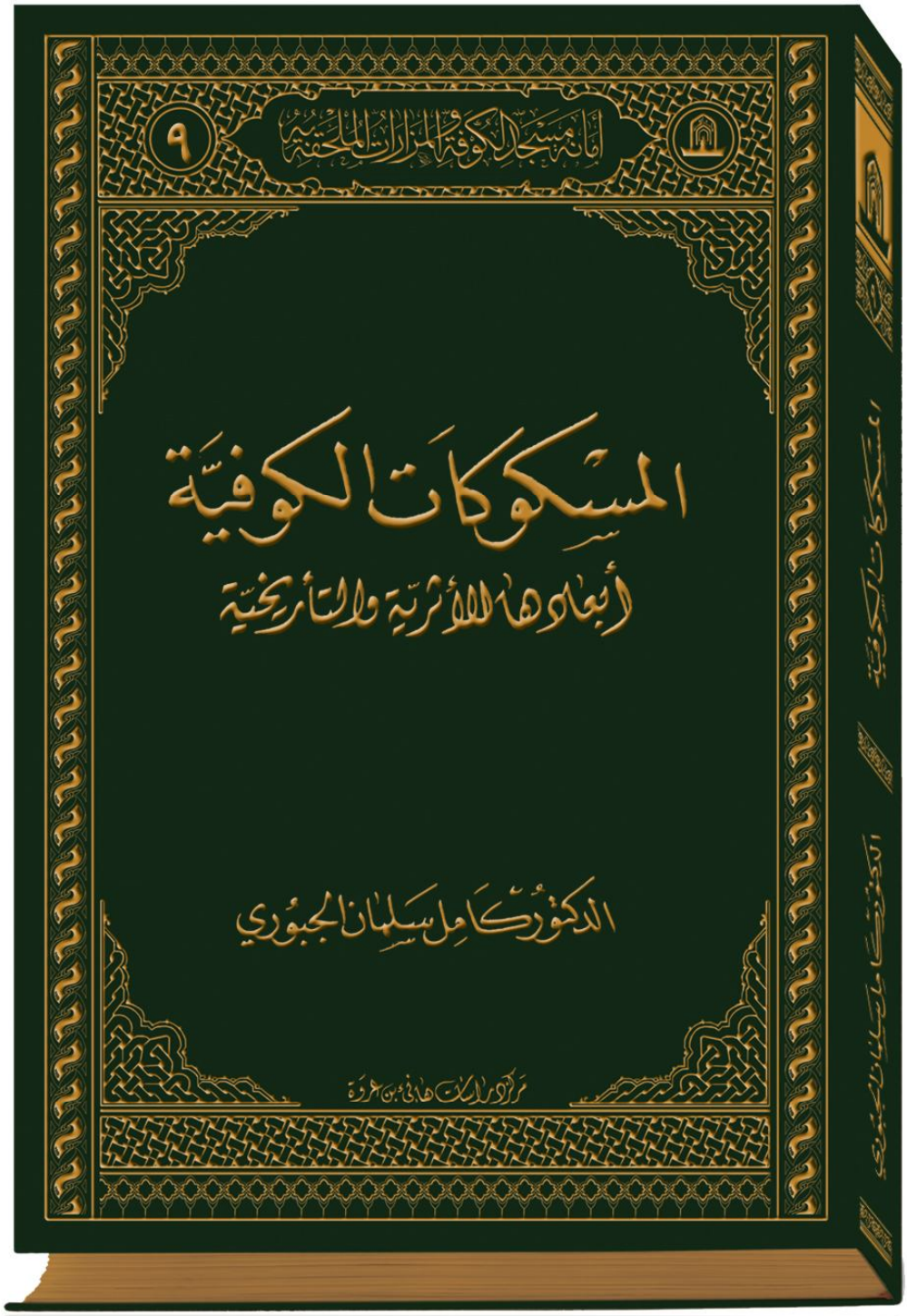
إمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة
٩
المسكوكات الكوفية
أبعادها الأثرية والتاريخية
الدكتور كامل سلمان الجبوري
مركز الإمام هاني بن عروة